على صخرة

فى جيري بشر

قصة مصرية : لمحمود كامل المحامي

« الجزيرة التي تبعد عن شاطئ سيدي بشر والتي ترى من بعيد وقد أحاطت بها مياه البحر . صباح يوم من أيام اغسطس سنة ١٩٣٨ . الجزيرة خالية الا من شاب استلقى فوق البحر على أرضها وقد اتكأ برأسه على يديه مضمومتين تحت اشعة الشمس ترسل أشعتها المحرقة الى الجزيرة الخالية . يستيقظ الشاب من غفوته على صوت ذراعين تسبحان في الماء مقتربين الى الجزيرة »

هو — (مغطياً جبينه . واضعاً يده فوق عينيه ليحجب اشعة الشمس ويستطيع التدقيق الى وجه الفتاة التي عبرت البحر الذي يفصل بين الشاطئ والجزيرة سابحة)
من ؟ حكمت !

هي — (تكون قد وصلت الى أرض الجزيرة ، ساقاها في الماء وجسمها الأعلى منكئ على رمل الجزيرة . ترنو بنظرها اليه . تشهق شهقة طويلة حادة) صبري

هو — كيف استطعت السباحة الى هنا ؟

هي — ماذا يدهشك في هذا ؟

هو — منذ ثلاثة أعوام ، في هذا المكان نفسه ، كنت لا تستطيعين النزول الى البحر الا اذا كنتُ الى جانبك

هي — لأني كنت أخاف من البحر

هو — ولكنك كنت تسبحين

هي — مطمئنة الى أن ذراعك ستنتشلني اذا هويت

هو — ومتى تعلمت السباحة وحدك ؟

هي — عندما افترقنا

هو — كيف ؟

هي — عرفت أني يجب ان اعتمد على ذراعي لأني فقدت ذراعيك الى الأبد

هو — (ينظر الى الارض ويفكر) أنا لا أذكر أننا وصلنا الى هذه الجزيرة

هي — ولكننا كنا دائماً نقف على الشاطىء وننظر اليها من بعيد كأننا ننتظر اليوم الذي نستطيع ان نصل فيه اليها

هو — ألا تذكرين كيف كنا نصبو الى ذلك اليوم؟

هي — أجل (تحمر وجهها)

هو — لمَ ؟

هي — لأني وعدتك ان اعطيك القبلة الثانية في مكان ناءٍ نكتشفه نحن .

هو — وقد خيل الينا اذ ذاك ان هذا المكان قد انحسر عنه الماء ليكون ملتقانا الموعود

هي — ولكنك لم تشأ مع ذلك ان ترهقني بالمسامحة طويلاً الى هنا

هو — مع اني كنت اعد الثواني الباقية على فوزي بالقبلة الثانية

هي — تهز رأسها لي بطء (كانت قد انقضت اربعة اشهر على اول مرة التقينا فيها منفردين

هو — (معترفاً) انه لا ارى وقد انقذت الكلمة تسبت برمل الجزء المغمور بالماء) مساء الاربعاء ٢١ يناير سنة ١٩٣٥

هي — (محترفة انى الارض وقد انقذت اسمها تمهد الجزء الذي سبقت به الذاكرة) التقينا امام باب الادارة المقابلة لفندق الكونتننتال حيث تقطن حائكة ثياب سمرتنا . ثم حملتني في سيارتك الى خارج القاهرة

هو — لم نجد مكاناً نذهب اليه لكي نقضي ساعة هادئة بعيدين عن أعين الناس الا جزيرة الشاي في حديقة الحيوان

هي — لقد حاول الخادم الاسود اني ان يسكب لنا الشاي يومئذٍ ولكني امرته بان يدع الآنية لي وانا خدمتك . ما زلت اذكر جيداً عندما انتهيت من سكب الشاي في قدحك ومددت انا ملي لكي التقط قطع السكر ترددت قليلاً لانه خطر لي ان اسألك (قطعة واحدة او قطعتين ؟) ولكنني لم اشأ . خيل إليّ اني لو فعلت لدل ذلك على اني حديثة عهد بصداقتك فوضعت قطعة واحدة

هو — كأني تعمدت ان ارفع (الانقطة) السكر لكي ادعك تضعين القطعة بيدك

هي — ولما هبط الظلام قنا نسير في طرقات الحديقة على غير هدى كأننا نها عن هذا العالم

هو — لقد تمنيت اذ ذاك ان يطول ذلك التيه

هي — حتى يعز علينا أملنا مبين

هو — أجل أني أذكر انك قلت لي ذلك . أمام قفص العصافير الزرق

هي — (تتبيح بوجهها) — لا تذكرني بها

هو — (يستمر كأنه لم يسمع) العصافير التي اجتمعت في صف على سلك واحد عند ما رأتنا قد اقتربنا وجهينا بأعمدة قفصها كأنها ارادت تحيتنا

هي — (يتهدج صوتها) لا تسهب في اعادة ذكرى ذلك الموقف على سمعي ... رجاء

هو — (لايزال مستمراً) فلما التقى منقار اثنين متجاورين منها رأيتني أمد يدي وأقبض على يدك

هي — كفى . ارحمني !

هو — وعندئذ تلفت حولك كأنك ترجين الي بشيء ما . ولكنني تجاهلت وسألتك (لم تلفتين ؟) فأجبت في صوت هامس وانت تنظرين الى منقاري العصفورين الملاقيين وقد ارتعشت زقزقة الباقي كأنها زغاريد منتشية (أخشى ان يرانا احد) فلم أنتظر حتى تمي جملتك وقبلتك للمرة الاولى وأنا أقول « تخشين وأنا معك »

« فترة صمت لا تسمع فيها الا اصطفاق امواج البحر لشاطئ الجزيرة »

هي — في اليوم التالي تحدثت الي بالتليفون وطلبت الي أن اذهب الى ذلك المكان نفسه لأرى شيئاً كتمته ورأيت أن تخبرني به

هو — هل ذهبت ؟

هي — أجل

هو — كنت قد انكرت أنك اهملتي

هي — لقد تجاوزت السن التي يليق فيها ان أعاند !

هو — ماذا وجدت

هي — (ترسم بأصبعها على رمل الشاطئ ، قبل هذه الكلمات دون ان تنظر

هنا قبلتها للمرة الـ ...

هو — (يمسك يدها قليلاً ثم يرسم الكلمة) أعرف ما سوف تكتبين ..

هي — لم تمنعني ؟

هو — (يرسم بأصبعه هذه الكلمة دون ان ينطقها) (الثانية) !

هي — غرور !

هو — لم ؟

هي — لأنك تغريني بأن اقترف شيئاً لا يليق

هو — وهو ؟

هي — أن أخون رجلاً أجهل اسمه

هو — (بعد روية) أتحبينه ؟

هي — لا . لقد أحببت مرة واحدة رجلاً لم ينل مني الا قبلة واحدة

هو — امام قفص الطيور

هي — في حديقة الحيوان

هو — ولكنك وعدته أن تهبيه الثانية في هذا المكان

هي — اذا سبحنا اليه معاً ولكني وصلت اليه وحدي

هو — وأنتي أسبح انه قبعتني

هي — (تتصنع) . من قال لك ؟ لو أني رأيتك لما أتيت

هو — ضرورة !

هي — كيف ؟

هو — لانك أخبرتني منذ لحظة بالصخورة التي يليق فيها ان تعاقبي!

هي — (تمشي في قبعتها . ثم تضع يدها في جيبه تخيط خصلة من شعره ليلى في مكانها) لمَ تقسو عليَّ .

هو — أتستحقين !

هي — أجل أستحق . لأني رأيتك حقاً وتبعتك

هو — انك مازلت تلهثين من شدة ما أرهقتك السباحة الى الجزيرة

هي — أقطع هذه المسافة سباحة للمرة الاولى

هو — أَلَم تخشي الغرق ؟

هي — كنت واثقة بأنك ستنقذني لو أشرفت على الغرق

هو — أترين ان الامواج قد هاجت فجأة . تُرى ماكان يحدث لو أني سمعت صراخك ونزلت الى الماء ثم جرفتنا موجة عالية عنيفة كهذه الموجة ؟

هي — ألم تتمنى ذات يوم ان نتيه في غابة مهجورة وألاّ يعثر علينا أهلنا الا ميتين

هو — (يرتجف جسمه) — لابد أنك تشعرين بالبرد هنا . (يلتفت حوله : لا شيء أستطيع ان اضعه على جسمك العاري

هي — (تقترب منه ليحوطها بذراعه) ان جسمي يرتعد ولكنها ليست رعدة البرد

هو — أعرف انها . . .

هو وهي (معاً) — رعدة الذكرى !

« فترة صمت طويلة يشتد بها لغط الماء لارض الشاطيء التي تحت اقدامهم »

هو — ماذا ! أتبكين؟

هي — أجل . دعني أبكي قليلاً . ان هذا الماء الذي يلطم الارض تحت اقدامنا يوحي إليّ بالبكاء

هو — أجل . كنت أريد ان أصارحك بهذا الشعور . لقد خيل إليّ ان أكفاً خفية تحت سطح الماء تلطم الوجه ، حزناً على تلك الذكرى

هي — أترى ؟ لقد عرفنا الآن حقيقة أحلامي من كانت على سطح الرمل . انه لا يقدرنا على ان من حقنا نبش تلك الذكرى

هو — ولكني ما خدعتك . سأعيد كتابة تلك الكلمات على الرمل حيث ما تشاهد في عيننا

هي — سأساعدك في كتابتها

هو — خطك أجمل من خطي

هي — آه ! لقد عودت نفسي ان أتقن الخط الذي يليق بي ان تقرأه . لقد ظلت ذكرت جمال خطي الذي كنت أكتب به رسائلي اليك ؟

هو — لقد حاولت ان أرد بعض الرسائل اليك

هي — احتفظ بها كما سوف احتفظ برسائلك . ان الله يشهد على ان غرامنا لم يتلوث قط . فلم نخش بقاء تلك الرسائل ؟

هو — « يبدأ في رسم هذه الكلمات على الرمل » . (هنا تقابلنا متفردين للمرة الثانية)

هي — لا ترسم هذه السكتة (والأخيرة !)

هو — أخشى أن تكوني قد تأخرت

هي — أجل . لنعد الآن .

هو — ستسبحين ؟

هي — الى جانبك

هو — فاذا اقتربنا الى الشاطىء ؟

هي — ابتعد عني كأننا لم نلتق هنا

. . . .

فوق موجة عالية . في المسافة بين شاطىء سيدي بشر والجزيرة

هي — اني أقاوم لكي ابتعد عنك ولكن الموج يدفعني دفعاً اليك ربّاه !
اني خائفة . لقد اقتربنا من الشاطىء

هو — لا تخافي .. لن يراني الناس خارجاً من الماء معك . سأعود الى الجزيرة

هي — « مفشورة » وحدك ؟

هو — أجل

هي — كيف . هل جننت ؟

هو — لم ؟

هي — انك متعب

هو — أشعر بعد ان رأيتك أني أقوى من ألف رجل

هي — ولكن ... لا ... لا تعد وحدك

هو — سأعود

هي — « لكي » نصرخا معاً ؟ أتوسل اليك . لا تعد

هو — لن يصيب أحداً سوء ما دمنا وبين تلك الذكرى البعيدة

هي — سأقف على الشاطىء حتى أطمئن الى انك وصلت سالماً ... الوداع

* ذهب سيدي بشر ... المصطافون والمصطافات بعد غروب الشمس لي ... سكتت ... وانه تنظر الى الأفق ... بعد شاطىء الجزيرة ... وقد ... الى الأفق في وجهها التعب ... وقد رأت شبحاً ... قد وصل الى ارض الجزيرة ... ثم ... والدموع تنهمر من عينيها ... وبعد قليل كانت سيارة تحملها الى منزلها ... من سيارات ... تجتاز طريق « الكورنيش »